الفصل الثانى

مجـــال الدراسة

كان غرضنا الأولى من هذا العمل أن ندرس أطفال الشعب ، نفسياتهم وميولهـم ، نقائصهم وكمالاتهم ، مجرى حياتهم من يوم الى يوم وهل ستقودهم هذه الحياة من يوم الى يوم الى تكوين شعب مصري متماسك قوي كفء لمواجهـة الحياة ، أم ستقودهم على العكس من ذلك الى التدهور والانحطاط من مستوى اجتماعى وضيع الى مستوى آخر ينخفض درجات عنه ، كنا نريد أن نفهم الحالة أولا ثم نرى هل من الممكن علاج هـذه الحالة ، أم هي حالة ميئوس منها لا يرجى لهـا عـلاج فنكف عن العمل لنريح ونستريح .

كان غرضنا الأول من هذا العمل الدراسة لا أكثر ولا أقل ، فاستنبطنا برنامجاً يؤدي بنا الى هـذه الغاية لا أكثر ولا أقل ، فلم نكن أولا نريد اصلاحا وانما دراسة ، وقد فصلنا عملنا على هذا القدر فقط وعلى ذلك شهرنا أنه يكفينا أن نتصل بالصبيان ، وأن يكون الاتصال بيننا وبينهم عن طريق وبسبيل يحبونه ويقبلون عليه كل الاقبال ، وهو بعد ينفعهم الى حد ما ، ويسد عندهم حاجة طبيعية تلزم لكل كائن حى فى سن الطفولة وهى اللعب فقد اتفق الاجتماعيون والمربون فى العـالم على أن الطفل يحتاج للعب كما يحتاج للأكل والحماية والرعاية سواء بسواء ، واذن فقد نستطيع أن نصل الى غرضنا عن طريق توفير حاجة صبيان الحي الى اللعب ، وبعد فخو اللعب أحسن الأجواء لاتصال الناس بعضهم ببعض ففيه تظهر فضائل الناس ومعايبهم ، وفيه ينطلق الناس على سجاياهم ، وبالطبع كنا نريد أن نفهم هؤلاء الصبيان على حقيقتهم دون تصنع .

قسمنا الصبيان الى فريقين وكانوا حوالى عشرين صبياً ، واقمنا حدود

الملعب وافهمناهم هذه الحدود كيف لا يصح تجاوزها وعند أي حد يقف اللاعب أو يتقدم . ثم أخذنا نشرح لهم قواعد اللعب وقد استغرق هذا الشرح بعض الوقت ، فكنا نرى العجلة وفراغ الصبر في أعينهم . إذ كان لا يهمهم قواعد أو قوانين أو علاقات أو حدود وانما كنا نرى منهم أنهم لا يطيقون كلاماً وكل ما يرجونه منا أن نضع الكرة أمامهم ثم نتنحى نحن ان شئنا . وهم قادرون على اللعب بالكرة وان كانت من النوع الذي يلعبه اللاعب باليد وليس بالقدم ولكن ما يهمهم هم من هذا ، بينما تستوي الكرات عندهم يلعبون بها كما يحلو لهم .

من الغريب أن جمهرة المدرسين ونظار المدارس لا يؤمنون باللعب . وان كانوا يؤمنون به فهم لا يدلون بتصرفاتهم على هذا الايمان أو ربما يؤمنون باللعب للصغار ولكن مطالب التدريس والأدارة وما تكلفهم الوزارة من اعمال كل هذه تجعلهم يفضلون اللعب للصغار ، وعلى أي حال هناك شعور عام بالاستخفاف باللعب وبالازدراء له والتنكر له ، حتى اصبح الصغار يلعبون خلسة أو يلعبون حين يجب ان يعملوا وفي كل لحظة يختلسونها ، مما جعل اللعب في عرفهم جريمة يتنكر لها الكبار وشيئا يداري إذا امكن مداراته ، وكثيرا ما سمع الكاتب من الآباء الشكاوى المرة التي تنصب على ان اولادهم يلعبون ، وكثيرا ما شعر بأن المقصود من هذا الكلام انما هو اهمال الصبي في دروسه أو عدم اقباله عليها اقبالا يرضى الوالد فاللعب عند هؤلاء مرادف للكسل وبغض العمل وتضييع الوقت وافساد المستقبل والحياة ، وبالاختصار هو شيء يجب أن يقضى عليه أو على اقل تقدير يستنقص منه بقدر الامكان .

ومن نفالة القول أن ندلل على اهمية اللعب للصغير فان هذه قضية مفروغ منها ، ولا نظن أن قوة في الأرض تستطيع أن تحرم الصغار منه وتنجح في ذلك ، فالصغير لابد أن يلعب سواء برضاء الكبار أو بغير رضاهم وأن لم يستطيع اللعب برضاهم فسوف يلعب في غفلة منهم وبقدر ما تسمح

به احواله وان لم يلعب بجسمه وبدنه فهو يشغل مخه وقواه النفسية باللعب وبتخيل اللعب فتفسد حياته من اولها إلى آخرها فقود لو تنبه الشعب كله إلى ان اللعب ضرورة بيولوجية وانه يحسن بالشعب أن يواجه الحقائق ولا يتهرب منها .

واللعب نشاط يجب ان ينظم تنظيما حسنا وتوضع له البرامج وترسم له الخطط بحيث يفيد منه الجيل الجديد اكبر فائدة واتمها . وبحيث تبقى آثار هذا النشاط فى نفوس الناشئين مدى حياتهم فيؤثر فى مجرى الحياة التأثير المطلوب . وبالطبع لا يمكن للصبيان انفسهم أن ينظموا العابهم على هذا الوضع لا يمكنهم أن يضعوا الخطط التى تقتضاها تشكل حياتهم بالشكل المرغوب ، وبعبارة اخرى لا يمكنهم أن يربوا نفوسهم فالتربية عملية يساهم فيها طرفان احدهما الصبيان والثاني البالغون المهتمون بمستقبل الامة والذين يعملون على تكييف اجيالها القادمة .

ولعب الاطفال إذا لم يكن موضوعا على قواعد سليمة وإذا لم يباشر تنفيذه قوم مفكرون اصبح فوضى لا ضابط لها ولنتج منه شر كثير ، اذ تختلط به عناصر ليست منه وتنتج فيه وتكسبه طابعا ولونا يتنافى مع القواعد الاجتماعية السليمة الحالية والمقبلة ويكون من شأنه أن يخلق للامة مشاكل اجتماعية تعجز عن مناهضتها والتغلب عليها .

واول شيء يدخل فى باب اللعب إذا لم يكن منظما خاضعا لقواعد معقولة وبارشاد قادة أكفاء انما هو التخريب والهدم للاملاك والأشياء . تارة للجهل بنتائج الاعمال وتارة للانفعالات النفسية عند الطفل تلك الانفعالات التى تنتج عن حب المجازفة والمخاطرة وعن رغبته فى مزج حياته التى تسير على وتيرة واحدة ببعض المثيرات النفسية فيعتبر من باب اللعب عند الطفل ان يرجم زجاج احدى الدور أو المحال التجارية بالطوب والحجارة ثم يولى هاربا بقدر ما يسمح له به قدماه ثم يجتمع مع زملائه يتندرون ويضحكون

بما فعلوا وبتفننهم فى الضرب وتضليل البوليس واصحاب الشأن ، وكلما ازدادت تفننهم بانفسهم فى هذا المجال ازداد اقدامهم على هذا الضرب من التسلية ، وحوادثهم فى تعطيل الاتوموبيلات وتخريب مصابيح الشوارع وخلع قضبان اسوار البيوت والحدائق وتحطيم الاشجار الصغيرة والكبيرة وخلع الابواب وافساد الازرار الكهربائية حيثما يجدونها وغير هذه كثيرة لا يمكن حصرها .

وخطف الاشياء وسرقتها عنصر مهم من عناصر اللعب عندهم ، وقد تكون الاشياء مما يمكن استعمالها أو استبدالها أو أكلها كما هى ، وقد لا تكون منها فائدة لهم على الاطلاق ونظن هنا أن الحاجة والجوع عنصر مهم فى هذا التصرف ولكننا مع ذلك نظن أن الاساس الذى تقوم عليه هذه التصرفات هو اللعب والرغبة فى الحصول على مثيرات نفسية تجعل الحياة عندهم ذات معنى ومستطابة ، فعندما تتفق جماعة منهم على استغفال بائع متجول مثلا وسرقة بعض المأكولات منه أو خطفها فالدافع لهذا التصرف اللعب لمجرد اللعب أو لا ، ثم اللعب الذى تنتهى إلى غرض يفيدون منه ماديا ثانيا ، أو على أى حال لهذا العمل دوافع كثيرة احدها وربما اهمها الدافع الطبيعى للعب .

قد يتفق معنا القارىء على أن هذا الذى يرويه فى الكلمات القليلة القادمة لعب أو قد لا يتفق ولكننا نظن أن من دوافعه اللعب على أي حال وقد سمعت بهذه الحادثة من احد الصبيان الذين ساهموا فيها .

كان بائع خس يتجول فى أحد أحياء القاهرة المزدحمة بأطفال الشوارع فاتفق فريق منهم على استغفاله والضحك عليه والتلاعب به بقصد سرقة بعض الخس منه ليأكلوه ، فذهب اليه جماعة منهم واحاطوا بعربته واخذوا يفاصلون ، فى الثمن ويظهرون التمنع والتردد للثمن الغير المعقول الذى يطلبه البائع للخسة الواحدة ، بينما كانت المفاوضة فى الثمن بين البائع والصبيان

تسير فى مجراها العادى شبك أحد الأولاد أحداها بسنارة معه تتصل بخيط طويل طرفه فى يد صبي منهم يختفى وراء أحد المنازل ، ثم اعطى الأشارة فاخذ المختفى يجمع الخيط ويسحب الخس إلى مقره ، وبعد أن وصلت إلى مستقرها سالمة ترك أحد الصبيان العربة وذهب إلى زميله المختفى حيث مكث هو ثم عاد بالسنارة صبي آخر لم يره التاجر من قبل واخذ هو الآخر يفاوض فى الثمن بينما السنارة تعمل عملها فى الخس ذاهبة آتية إلى أن حصل الاطفال على ما يكفيهم من هذه السلع وإذا بهم يقطعون المفاوضات مع التاجر جملة ويرفضون الشراء لغلاء الثمن .

لا نظن أن هذا الضرب من النشاط يدخل فى باب السرقة لمجرد السرقة أو لشر يتأصل فى نفوس الأولاد يطلق عليه العرف والتقاليد والاديان لفظ السرقة وانما هو فى الواقع لعب من وسائله السرقة ومن اغراضه الاكل والضحك والتندر واشباع غريزة النشاط واللعب ، وبعد فهذا الضرب من النشاط هو مما يفخر به الأطفال ويروونه عندما لا يجدون حرجا من روايته وعندما يستوثقون من أن نتائج روايته لا تعود عليهم بعقوبة أو ضرر من أى نوع وبعبارة أخرى لا يشعر الصبي أن فى هذا التصرف شيئا يخجل منه أو يستنكف له حقا من عناصر هذا النشاط السرقة ولكن المثل العليا فى رأيهم لا تتنافر مع السرقة واذن فهم راضون عما فعلوا من جميع الوجوه .

وهنالك ضرر آخر ينشأ عن عدم تنظيم اللعب ووضعه تحت ملاحظة قادة صالحين وهو الضرر الصحى والبدني ، فاللعب ضرورة بيولوجية من شأنها توجيه النمو الطبيعى فى مجموعه وفى تفصيلاته ، ولكن له قواعد صحية أن لم يراعيها الشعب ويحرص عليها ويوفرها لصغاره أصبح اللعب فى مظهره دليلا على حاجة الطفل اليه وليس وسيلة لقضاء هذه الحاجة على أحسن الوجوه ، شأنه فى هذا كشأن الاكل ، يأكل الطفل للذة التي يستخلصها من الأكل ولحاجته للاكل دون نظر إلى الفائدة ، والضرر الذى

قد يعود عليه من الاكل فى مجموعة أو من أكل صنف معين بالذات ، فلو أطلق العنان للصبي ولو توافرت له أطيب المأكولات لأكل باستمرار طول الوقت دون تفكير في عواقب هذا العمل لأنه لا يملك من الثقافة والنضوج العقلي ما يمكنه من تقدير العواقب ، فليس اذن جميع ضروب اللعب تصلح لجميع الأطفال على السواء فى حالاتهم البدنية والصحية المتباينة ، فليس اذن للأفراد حاجاتهم الخاصة بهم لتنمية بعض أعضاء الجسم المعينة وترك بعضها الآخر لفرصة قادمة يكون فيها المجهود اعود عليها منه الآن ، أو قد تكون بعض الأعضاء فى حالتها الراهنة لا تحتاج الى اجهاد ونشاط عنيف لسبب طارىء أو لأن زمن النشاط لم يحن لها بعد .

ويعد فاللعب فى كل مكان فى الحجرات الضيقة أو فى الشوارع المزدحمة أو فى التراب الذي يثور فيملأ الهواء ويسد على الأطفال مسالك التنفس ويملأ عيونهم بما يعود عليها بالضرر الكثير واللعب بالطوب والحجارة وبقايا الأشياء من ملابس وخلافه ، كل هذه حالات لابد وان تتنافى مع ما يجب لهؤلاء الأطفال من العناية البدنية والصحية ، هذا بخلاف نقل الأمراض والعدوى وبثها من فرد الى فرد ونقل القمل من صبي الى صبي ومن منزل الى منزل ومن شارع الى شارع ، وعلى أى حال من الخطأ الفاحش ومن قبيل غمض العيون عن الحقائق الا يفكر الشعب فى هذه الأمور ويتخذ لها عدته وينظمها ويشرف عليها بحيث تصبح هذه الضرورة الطبيعية عند الأطفال وسيلة لتربيتهم ونفعهم .

واللعب من غير ارشاد البالغين وبغير اشرافهم وسيلة من انجع الوسائل فى شيوع الفوضى بين الأطفال وبذر بذور العادات والميول والاتجاهات النفسية السيئة القبيحة التى لا يمكن لشعب يهتم لشئونه الراهنة ولمستقبل أجياله المقبلة أن يرتضيها أو يركن اليها ، هذه حالة يكاد الانسان لا يصدقها فى بلد مثل مصر له حكومة برلمانية رشيدة وله رأى فيما يسير فى البلد وعنده من الذكاء ما يجعله يقدر عواقب الأمور .

اللعب وسيلة مهمة من وسائل التربية ولسنا نفهم كيف نترك هذه الوسيلة للأطفال أنفسهم يستغلونها فى تربية أنفسهم واعدادها لحياة قومية تعود اضرارها أو فوائدها على بلادنا ، لا يمكن أن يترك هذا النشاط دون توجيه والا طغى السيء منه على النافع . ولا بد أن يطغى السيء إذا اعوز الأطفال التوجيه والارشاد .

وعلى من يشك فى هذا أن يراقب أطفال الشوارع فى لعبهم فيرى بنفسه الاتجاهات الضارة بالحياة الاجتماعيـــة كيف تبذر بذرتها وكيف تنبت وتترعرع ويؤتى ثمارها البغيضة الضارة كيف انها السبب المباشر فى كثير من العلل الاجتماعيـة والاخلاقية التى نشكو منها من الشكوى دون أن يكون فى استطاعتنا أن نعالجها فمثلا يشكو الموظفون عندنا من شيوع المحسوبيات فى البلد ومن استغلال الموارد للأقارب والأصهار والمعارف الكل من له على كبير دالة أو شبه دالة ؛ ويشكون من المداهنة والرياء ومن انعدام الشخصية امام كبير أو ذى نفوذ يظن الفرد أو يخيل اليه أن المداهنة والرياء هما خير ما يقابل به هذا الكبير أو صاحب النفوذ .

كنت فى الترام ما بين الجيزة والقاهرة وكان فى صالون الترام معنا رجل تظهر عليه الوجاهة ورفعة الشأن ؛ وكان يقعد بشكل يشعر الجميع انه خير منهم جميعاً ؛ يضع رجلا على رجل بشكل يشغل مكانين ويضايق الركاب الآخرين . يدخن ويتحدث بصوت عال يملأ المركبة كلها ؛ ويملى على رؤوس الجميع ماعمل وماسوف يعمل وما هو بسبيل عمله من ذلك النوع الممجوج من الحديث ؛ وكانت الناس تدخل العربة اناس عجائز لا تحتملون مشاق الوقوف ؛ وسيدات مصريات كثيرات يحسن بكل مصري أن يقدم لهن مقعده ، كل هـذا وصاحبنا يتحدث ويشير بيديه ويدلل على حديثه بحركات ثقيلة من جسمه حتى كأنه يملك عربة الترام وباقي الناس متطفلون عليه ، واذا برجل آخر يدخل العربة وإذا بصاحبنا ينتفض واقفاً كمن

رأى عفريتاً أو جنياً ، وإذا هو يسيل حلاوة ورقة ودعة ويقول «تفضل ياسعادة الباشا خد مكاني » وإذا بالباشا يتمنع ولكن صاحبنا يتذلل ويرجو ويداهن ويمعن في (مسح الجوخ) حتى يقبل سعادة الباشا ويحتل المكان ، وإذا بحديث صاحبنا عبارة عن تملق ممجوج قبيح يدور حول صحة سعادته وصحة النجل المبروك وعن عمل الباشا وراحة الباشا وان فضل الباشا على صاحبنا دين في عنقه وانه لولا الباشا لما كان للحياة طعم أو معنى الى آخر هذا الحديث الذي لايكاد مغفل أن يخطىء في كذبه ونفاقه ، ثم ينزل سعادة الباشا فيقول صاحبنا جوابا على سؤال صديقه « هذا رئيسنا الأكبر وهو رجل دنيء ابن كلب لايريد خيراً بأحد » .

لايمكن أن تشيع هذه الظاهرة في بلد تستقيم فيه الحياة الاجتماعية إذ أنها تتنافى والحياة السليمة ، ولا يظن القارىء أن هذا الشاب ملوم في هذا فاللوم فيه واقع أيضاً على سعادة الباشا وأمثاله من طبقات الشعب العالية والوضيعة إذ أننا نجد أمثال هذا الشاب وأمثال هذا الباشا في كل لفتة في بيئتنا . ونجدها في الشارع بين صبيان الحارات والأزقة لابل هي الدستور الذي يخضع له أطفال الأمة والجو الذي يعيشون فيه واللبن الذي ترضعه نفوسهم ، وهذه حالة لابد وأن تستديم بين الأجيال المقبلة إذا تركنا الأطفال يلعبون وينشطون دون قيادة أو توجيه أو ارشاد .

وبعبارة أخرى ينتج من اللعب البعيد عن الارشاد نوع من الفوضى ينال فيها القوي كل مايريد ، ويداري فيها الضعيف القوي بكل وسائل المداراة ويراجيه بجميع أنواع المراجاه بغض النظر عن قيمة الوسائل وموضعها من الرجولة والكرامة الانسانية ، ونحن نظن أن كثيراً من العلاقات الجنسية الشاذة بين الأطفال انما ترجع الى هذه الفوضى في النشاط الحر بينهم ، ذلك النشاط الذي نسميه لعبا ، ولا يمكن إلا أن تكون حياة الأطفال فوضى لأن التنظيم معدوم فيها ، ولأنه لا رابط لها فليس هنالك

من ينظم ومن يضع خطط التنظيم ويباشر تنفيذها حتى تسير فى الخطة الموضوعة لها .

وعلى هذا كان من برنامج جماعتنا أن تنظم هذا النشاط وتضع له القواعد التي تبعد الأضرار الناجمة منه . أو على الأقل تستبعد ما يمكن استبعاده من هذه الأضرار ، وهذا التنظيم من شأنه أولا أن يستبعد الفوضى أو على الأقل يحصرها فى اضيق الحدود ، ثم من شأنه ثانية أن يفتح أمامنا باب الدراسة على مصراعيه فنستطيع أن نشاهد صبي الشارع عن كثب ونراقب تصرفاته ونحاول أن نرد هذه التصرفات الى الدوافع النفسية المعقولة أو القريبة من المعقول ، حتى إذا استقامت لنا الحقائق وخرجنا من دراستنا بشيء يركن اليه امكننا أن نرسم الخطط لما يتلو هذا من خطوات .

وكان من برنامجنا أيضاً أن نلقي على هؤلاء الصبيان نوعا من الأحاديث والقصص لاعهد لهم به والكاتب يعرف نوع القصص والأحاديث التي تتلى على مسامع الأطفال فى القرى ويظن انها تشبه مايلقي على أطفال الشوارع فى المدن الآن ، ويظن لا بل يؤكد إذا كان ما سمعه فى صغره يشبه مايسمعه الأطفال الآن — انها كلها تدور حول اللصوص والسرقة والقتل والفسق ومما يشبه هذا من تصرفات الناس ، وتدور حول الانتقال السريع فى الفضاء بحيث يقطع الانسان ما بين مصر والصين فى لمح البصر وحول الكنوز المطمورة والتعاويذ التي تكشف عن هذه الكنوز ، وعن الرجال العجائز الذين يحرسون هذه الكنوز ، وعن الرجل الذي انسخط قرداً أو كلباً أو حيواناً وكثير غيره مما يدور حول حياة الجن ودولة الجن .

فأردنا أن نلقي دلونا فى الدلاء ونساهم بقسط فى مجموع الثقافة التي ينشأ عليها أطفال الشعب فنقدم لهم نوعا آخر من الطعام العقلى قد ينفعهم أو على أقل تقدير قد يترك أثراً ولو ضئيلا فى نفوسهم ، فوضعنا برنامج أحاديث وقصص يتناول حياة الأبطال من مصريين وعرب وشرقيين وغربيين وحياة

المخترعين واختراعاتهم وما قاسوا فى سبيل تقديم هذه المنافع للناس وهكذا إلى آخر هذه الاحاديث التى لا تنتهى والتى من شأنها أن توسع افق هؤلاء الاطفال إلى حد ما ، وتربط ما بينهم وبين الحياة الواسعة ببعض الصلات وأن تكن الصلات قليلة وضئيلة .

ثم نقدم لهم بعض المجلات المصورة والكتب البسيطة حتى يقرأ منهم من يستطيع القراءة ويتسلى بالصور من لا يقرأ وحتى تشيع بينهم الى حد ضئيل بعض المعلومات القليلة التى يمكن ان يستخلصوها من الكتب والمجلات .

ووضعنا نظاما لعرض بعض الافلام السينمائية للتسلية والترويح عن النفس ، وقد لا يكون منها فائدة الا هذا ، ومع ذلك فنحن كنا نشعر أن هذا مشروع ويحسن عمله اذ لا بأس على الأطلاق من التسلية لمجرد التسلية وللترويح عن النفس دون أى غرض آخر ، وبالطبع لا يخلو عرض الافلام المنتقاه من فائدة عقلية أو نفسية قد تعود على هؤلاء الاطفال .

ومن اهم عناصر برنامجنا الاتصال الشخصى بيننا وبين الصبيان فردا فردا وكنا نريد أن نتحدث إلى الصبيان واحدا واحدا ، ونريد ايضا أن نسمع لحديثهم واحدا واحدا كنا نرغب فى أن نقدم للصبى فرصة ليتحدث عن نفسه وعما يعمل وعما لا يريد عمله وما يحسنه وما يحب وما يكره . كنا نريد أن نعرف رأيه فى الفضيلة وفى الرذيلة مايشعر به نحو والديه واخوته وعمله أن كان يعمل أو عن مدرسته أن كان طالبا ماذا يفهم عن القانون والحكومة ورجال الحكم والبوليس ، وما هو نوع العلاقات بينه وبين هؤلاء جميعا . كيف يتخيلها وماذا يظنها ، ما رأيه فى المستشفيات والعيادات الطبية وهل يذهب اليها إذا مرض أو لا يذهب ، وماذا يمنعه أن كان لا يذهب ، وما هو المرض وكيف يعالجه إذا كان يعالجه ، إذا وماذا يصنع والده معه وماذا يصنع هو مع والده ووالدته واخوته ، وما نوع العلاقات فى المنزل هل هى مما يستريح اليه أو هى من النوع الذى تضيق به حياة الفرد .

هذه جميعا اشياء لا يتحدث بها الطفل لانه لا يجد من يتحدث اليه فيها . ومن حق الطفل أن يتحدث ويعبر عن شعوره واحساسه بالحياة التي تحيط به ، ومن حقه أن يكون له صديق عاقل يركن اليه ويبثه مايجيش في صدره من الانفعالات النفسية ، من حقه أن يصف الدنيا ويصف علاقاته بها والروابط العديدة التي تربطه بما يحيط به وما يحسه من هذه العلاقات والروابط ، من حقه أن يفعل هذا ومن واجب المربين أن يصغوا اليه ويقدروا هذه الامور حق قدرها ، ثم من واجبهم أن يوفقوا ما بين هذا الطفل الصغير وبين ما يحيط به من عوامل وقوى ما استطاعوا إلى التوفيق سبيلا ، وقد كنا لا نألو جهدا في التوفيق ما امكننا ولكننا كنا معنيين بسماع رأيه في هذه الشئون حتي نستوفي دراساته وحتى نجمع الحقائق التي نستطيع في ضوئها أن نكون لانفسنا رأيا في موضوع اطفال الشعب

كان هذا برنامجنا الذي اخذنا انفسنا بتحقيقه وهو برنامج متواضع كل التواضع لا ندعي من ورائه اصلاحا أو شبه اصلاح ، ولا نزعم اننا اتينا فيه بجديد وانما اردنا منه أن نصل باطفال الشعب عن قرب لنلمس رسمهم أولا وقبل كل شيء ، ولنخدمهم من نستطيع أن نخدمه منهم ثانيا ، وبطبيعة الحال كانت خدمتنا لهم محدودة بمقدرتنا وبطاقتنا ، ثم لم يكن عددهم كبيرا حتي نزعم اننا نساهم في اصلاح البلد بحال من الاحوال فقد كانوا لا يتعدون الثلاثين صبيا ، وكان المكان الذي نتصل بهم فيه لا يصلح لعمل معهم مجد نافع ، وكانت ادواتنا ضئيلة قليلة لا تتعدى بعض الالعاب والمجلات الكتب ، وكنا نذهب اليهم مرتين أو ثلاث في الاسبوع فقط ، ونمكث معهم الساعتين في المرة الواحدة أو ما يزيد قليلا عن ، الساعتين وكنا نعمل بيدهم مابقي من النقود التي جمعناها شيء وما دام في طاقتنا دفع اجر الارض والبواب وما دام في استطاعتنا شراء ما يلزم من الألعاب والمجلات لهم ، ثم ننقطع إذا فرغت ايدينا من النقود ، حقا أن هذا لم يحدث الا في مرات قليلة وفي شهرين أو ثلاثة من السنة ويكون هذا عادة قبيل عشاء العدس

المشهور . واذكر ان الاطفال استجلبوا مرة في مثل هذه الفترات فارسلوا لنا وفدا يبحث عنا في بيوتنا وأماكن عملنا يتعرفون على اسباب انقطاعنا عنهم .

استمرينا في هذا العمل ثلاث أو اربع سنين نجمع فيها المعلومات عن حالة الصبي المصري الصحية والاخلاقية والاجتماعية ، وندون مشاهداتنا ثم في نفس الوقت نؤدي لعدد قليل من الاطفال بعض الخدمات الضئيلة التي يستطيع نفر قليل لا شأن له ولا ذكر أن يؤديها ، وكنا نحرص في كل علاقاتنا بالاطفال كل الحرص على الكرامة الانسانية فيهم ، فلم نقدم لهم نقودا أو مأكولات أو ملابس من أي نوع فقد كانت جميع علاقاتنا عبارة عن علاقة الند بالند وعلاقة الانسان الكريم بالانسان الكريم .

وقد خرجنا من كل هذا بمعلومات وحقائق يجدها القاري، في الفصل التالي .